

منها على جانبي القرات وفي الجزيرة وبعض كبدوكية وكيليكية وعلى الاخص في سوريا فعمدت صلحاً مع المصريين على الجزيرة او شيء منها ورضي المصريون بذلك والذي افنه ايضاً ان ملوك مصر لذلك الحين كانوا اصلاً من شبه جزيرة العرب من بلاد بنط بلاد الآلمة وبلاد مطلع الشمس ولكنهم كانوا قد استقلوا في مصر عن اوطانهم الاصلية وتلبسوا بالزي والموائد والمبادات على ما كانت عليه لونها وشكلها في مصر وتركوا من ازيائهم وعوائدهم وعباداتهم التي كانوا عليها حينما هاجروا من الميرية إلى العدو الثانية من البحر الاحمر واخذوا ينظرون الآن الى الفزاة الذين اجتاحتهم عليهم بلادهم كما ينظرون المصريون اليوم « او كما كانوا ينظرون ايام الفاطميين » الى المراقين مثلاً او الى اهل عمان وحضرموت او الى اهل نجران ووادي دوار ولاسيا اذا كانوا من القرامطة او من الاباضيين
جبر شومط

كلام في العبقرية

حيثها

العبقرية وفي الفرنسية (Génie) والانكليزية (Genius) شيء طالما حارت العقول في تعريفه وتحديد ونسبة الافراد والجماعات اليه وطالما تساءل الناظرون الى طبائع البشر والمحققون في نظام الطبيعة والكون عن حكمة صنع العناية التي حبت نقرأ من الناس بالمواهب الخارقة فتارة يقلدون شيئاً يدوخون به دول الارض وطوراً قلماً يرشد الانسانية الضالة. وطالما وقف طامة الناس وعلماؤهم ووقفه الذموم حبال تلك الآية الباهرة يحاولون عيشاً فهم حقيقة العقول وسبب ارتقاء النادر منها الى درجة تدفي الانسان من الآلمة وتقسيم لبعض التليل ان يعود الكل الكثير على عمر القرون بحيث لم يخلُ جيل واحد من تلك الانوار الربانية التي يبعث بها الى العالم في اشخاص اهل العبقرية. وقد انبرى في كل جيل عالم او فيلسوف يعدد العبقرين من اهل زمانه وما سبقه كاقبل «جورو لوموكرداتو» فانه عدد اثني عشر عبقرياً لم يخرج للعالم غيرهم من اول الخليقة الى آخر القرب السادس عشر. وكان آخر عهدنا يمثل هذا الاحصاء سؤال القنته احدى مجلات

الغرب على فرائها عن اعظم اعظم المبقرين منذ بداية العالم الى عهدنا هذا فعدد كل من عدد . وقد دون الكتاب والفلاسفة في العبقريّة كتباً كثيرة وهذا كفة واجع الى حيرتهم وذهولهم حيال مظاهر الطبيعة الخارقة التي تبدو في نفوس بعض الرجال والامم ولان آثار المبقرين في العالم لا يمكن حصرها او تقديرها لكثرةها ووجلاها . بل ان المبقرين هم احببي الوري وحيرة العلماء . ولم تقصر العبقريّة على امة او جيل او جنس او طبقة وتري المبقرى ينظ لذاته سيلاً يقوده الى الفوز والتفوق من غير ان يشعر بذلك او يستعد استعداداً خاصاً له كأن اداة ميكانيكية تدفعها الى السير قوة خفية هي النار المقدسة التي يشمر بها المبقرى منذ نعومة اظفاره نار طاهرة لا تخبو وقودها الا مال اليقظة والالام المبرحة

وقد خلط نسر من الكتاب العبقريّة بالنبوغ وهما خلتان متبايتان فنبوغ الرجل او الشيء خروجه وظهوره ويقال نبغ في العلم وفي كل صناعة اذا اجاد والنايضة الرجل العظيم الشأن والكلمة النايضة هي التي ظهرت فصاحتها وعليه قيل « الحمد لله الذي انعم عليّ النعم السوانع والهنى الكلم التوانع » . وليس في هذا كله من المعنى الذي يرمي اليه بشيء وغاية القول ان كلمة النبوغ تقابل كلمة Talent في اللغات الغربية وهو المسمول على ملكة خاصة في امر من الامور او موهبة . اما العبقريّة فنسبة الى عبقر وهو اسم موضع زعم العرب انه كثير الجن ومنه قول لبيد « كهول وشبان كنة عبقر » ثم نسب العرب اليه كل شيء تعجبوا من خلقه او جودة صنعه وقوته فقالوا عبقرى . والعبقرى الكامل من كل شيء والسيد والذي ليس فوقه شيء والقوي والشديد وقالوا ظم عبقرى اي لا يطاق لتفنن الظالم في ضروبه . وكلمة « جنى » الفرنسوية ترجع لاشك الى جابر دت اليه كلمة العرب من نسبة كل شيء يعجب من خلقه او جودة صنعه وخوته الى الجن اي الى قوة غير قوة البشر . اما نحن في الشرق عامة وفي مصر خاصة نحننا بالعبقريّة اكثر من جهل غيرنا بها لان الشرق قليل تقدير الرجال والاعمال ولان الفطرة الصوفية المتكئة من تموسنا صرفت اذهانتا في كثير من الشؤون الى ما لا يجدي فلم يرقم فينا من يخصص العقل البشري بالبحث والتفحص بن اكنفيسا

بنسبة الاعمال المخارقة الى الجنون تارة والى الالهام الالهى او الولاية واقداصة تارة اخرى ولم يخطر ببالنا ان مظاهر العقل الانساني امور يمكن تمليلها وتفسيرها بالعلوم الحقة التي تحتل البحث والمناقشة

اضف الى هذا كله ان جعل بعض كتاب اللغة العربية المعاصرين أحل كلمة التبوغ محل المبقرية مع ما بين الاثننتين من التفرقة . وقد ورد ذكر المبقرية في الحديث الشريف اى منذ الف وثلاثمائة سنة فوصف بها الامام علي . كذلك جاءت في كثير مما دونه علماء العرب وادباؤهم . من ذلك ما جاء في ارشاد الساري الى شرح البخاري للقسطاني جزء اول . ثم ما ورد في مقامات الحريري في شرح هذا اللفظ شرحاً وافياً . اما تعريف المبقرية فقد تواتر على اللسان وفي كتب العلماء على صور شتى سأتى عليها بعد شرح المبقرية شرحاً وافياً وتفسيرها تفسيراً كاملاً . وللقارئ ان يستنتج وحدانية فكرة المبقرية من تشابه صور الفنون

اجمع الشكل على ان لا بد بلوغ الانسان النمط الاعلى من السكال الفكري او الشعري او الحربى او السياسى او الفنى من علاقة بالجن لينتج ما هو فوق طاقة البشر وتحت حول الارباب . واطهر ما تكون تلك التمكرة عند العرب فكان مذمبهم ان لكل شاعر اى لكل عبقري شيطاناً يلتنه الشعر وهالك قول واحد منهم

انى وان كنت صغير السن وكان في العين نبوءة عني
فان شيطاني امير الجن ينهب بي في الشعر كل فن

وقال حسان بن ثابت

ولي صاحب من الشيميان فطورا اقول وطورا هو

وقال ابو نهم

انى وكل شاعر من البشر شيطانه انى وشيطاني ذكر

وقد شاع عند العرب اطلاق المبقرية على الشعراء اى اصحاب مواهب اخطيال لذا قصروا علاقة الجن بالانسان على موهبة الشعر دون سواها مع ان المبقرية ليست قاصرة على موهبة او فن او صنعة دون اخرى . فقد يكون المحارب عبقرياً والمخالك عبقرياً فليزم الاعتراف بوجودها في كل احوال ارتفاع قوى النفس وبلوغها ما هو فوق المادة

خلق الناس درجات بعضهم فوق بعض . وليس المقصود بذلك درجات الحياة
المادية كسرف المولك واتساع الثروة إنما يقصد به الدرجات النفسية . والناس إنما
يتفاضلون بصفات النفوس والمواهب العقلية وكل شيء مادي تابع لتلك الصفات
وثمره من ثمار المواهب . وغير خفي ان العبقرية هي اسمى تلك الدرجات المعنوية
وهي المثال الاسمى وتلوها النبوغ وتلوها النبوغ التحلي بموهبة من المواهب
التفكرية . غير ان الفرق بين العبقرية والنبوغ جلي . فالعبقرية صنعة الطبيعة في
الانسان والعبقري إنما هو عبقري رغم ارادته بلا تصنع وهو يبيأ بفطرته للتأهب
لما اختارته له العناية . أما النبوغ فقد يكون فيد نصيب وافر من عمل الانسان
وقد يوجد موسيقي نابغ وشاعر نابغ ولكن كلا منهما قد يكون أصلاً
اسحاره فأصالة وقد طوى السنين تلو السنين لبلوغ تلك الدرجة المحمودة . أما
الموسيقي العبقري والشاعر العبقري فيتملان بالنفوس فعلاً لا يمكن وصفه بأنه
طرب أو تممس إنما هو فعل روحاني يدرك معناه ويعرف قدره بأدراك أرو
فيمن وقع عليهم . ألم يأتنا حديث العبقريين الذين سنوا الشرائع والذين سيطروا
على العقل البشري اجيالاً طرأاً كسقراط وارسطو وافلاطون ؟

هذا بعض ما يمكن قوله للتمركة بين العبقرية والنبوغ . ويزداد التفریق وضوحاً
إذا ضربنا لذلك مثلاً فنقول : كان اوجست كونت عبقرياً وكان سبنر نابغاً لأن
الاول وضع اساس الفلسفة الحديثة اذ هو الذي قيد علوم البشر ودون معارفهم
وكون من المجموع علم العلوم وهي الفلسفة الحية والوضعية . اما سبنر فقد
نجح على متواليه وجلائضة واذاع مبادئه بوصف كونها فلسفة للعالم وهذا لا
يمنع ان يكون سبنر عبقرياً في وسطه . كان ابن سينا عبقرياً وكان ابن رشد
نابغاً لأن حياة الاول واضراراً وسعة علمه وسرعة المامع بالمعارف وتنوع
مواهبه وبمجموع مبادئه تحمل له شخصية ظاهرة مستقلة اما الثاني مع معرفة العالم
قدره وثقوة في شرح فلسفة ارسطو فلم يكن الا من اعيان الحكمة لا رؤسائها .
كان نابليون بونابرت عبقرياً وكان فواده جميعهم امثال هوسن وكبير وناي نوابغ .
كان جان باك روسو عبقرياً وكان فولتير نابغاً . كان غمتا عبقرياً وولذلك روسو
نابغاً . كان وشنطون عبقرياً وارهم نكس نابغاً . كان عمر بن الخطاب عبقرياً

وابو بكر نابغاً . وقد ذكرت هذه الامثال القليلة للاستشهاد بها وليسهل ادراك
المبادئ التي سيأتي شرحها

انواع العبقرية

العبقرية انواع منها العبقرية القرية والعبقرية الفعلية وتنمها الفنية والخطبية .
فالعبقرية التولية هي التي لها علاقة بعوالم القول وهي الصناعات الثلاث الخطابة
والشعر والكتابة . والعبقرية الفعلية خاصة بالافعال الجليلة وبمجاها العلم وفيه
ظهر امثال دارون . والاكتشاف وفيه ظهر امثال كوليس وييري . والحرب وفيها
ظهر الاسكندر المقدوني . وسياسة الامم وفيها ظهر امثال بطرس الكبير ومحمد علي .
وتنمها العبقرية الفنية وهي تشمل زعماء النون الجميلة كالنقش والموسيقى والعمارة
والتمثيل . وسيد عبقرية هذه الدائرة ليوناردو دافنشي مصور الجوكوندا وصانع
عشال صفورزا ومشيد قصور ميلان ومتقن التوقيع على الناي ومخترع اول آلة
للطيران والضارب في كل فن بسهم . ثم عبقرية الخلق وهي التي يتنازع اصحابها
بصفات جليلة ترفسهم الى ذرى الجهد فقد كان حاتم طي عبقرياً بكرمه والسموال
عبقرياً بوفائه وفرنكلن الامريكي عبقرياً باخلاقه وايوب النبي عبقرياً بصبره .
ويحب بعض المتطرفين في النظر ان كبار المسولين في امريكا عبقيرون في جمع
الاموال وكثرتها لانهم يحبون ان جمع مثل تلك الثروة يستلزم صفات سامية
كصفة الاقتصاد والاحتمال وانها الفرس والمجازفة اما نحن فلا نعد منهم عبقرية
الأ واحداً وهو اندراوس كارنجي لانه نفاً منذ عهد قريب يقسم ثروته بين
الامم والمدن . وقدر العبقرية يقاس بما ينفع به اهل جنسه اما اصحاب الاموال
الذين يكتزون ولا ينفقون فعبقريتهم معكوسة لانها ضارة على العموم وتنمها
مقعور عليهم

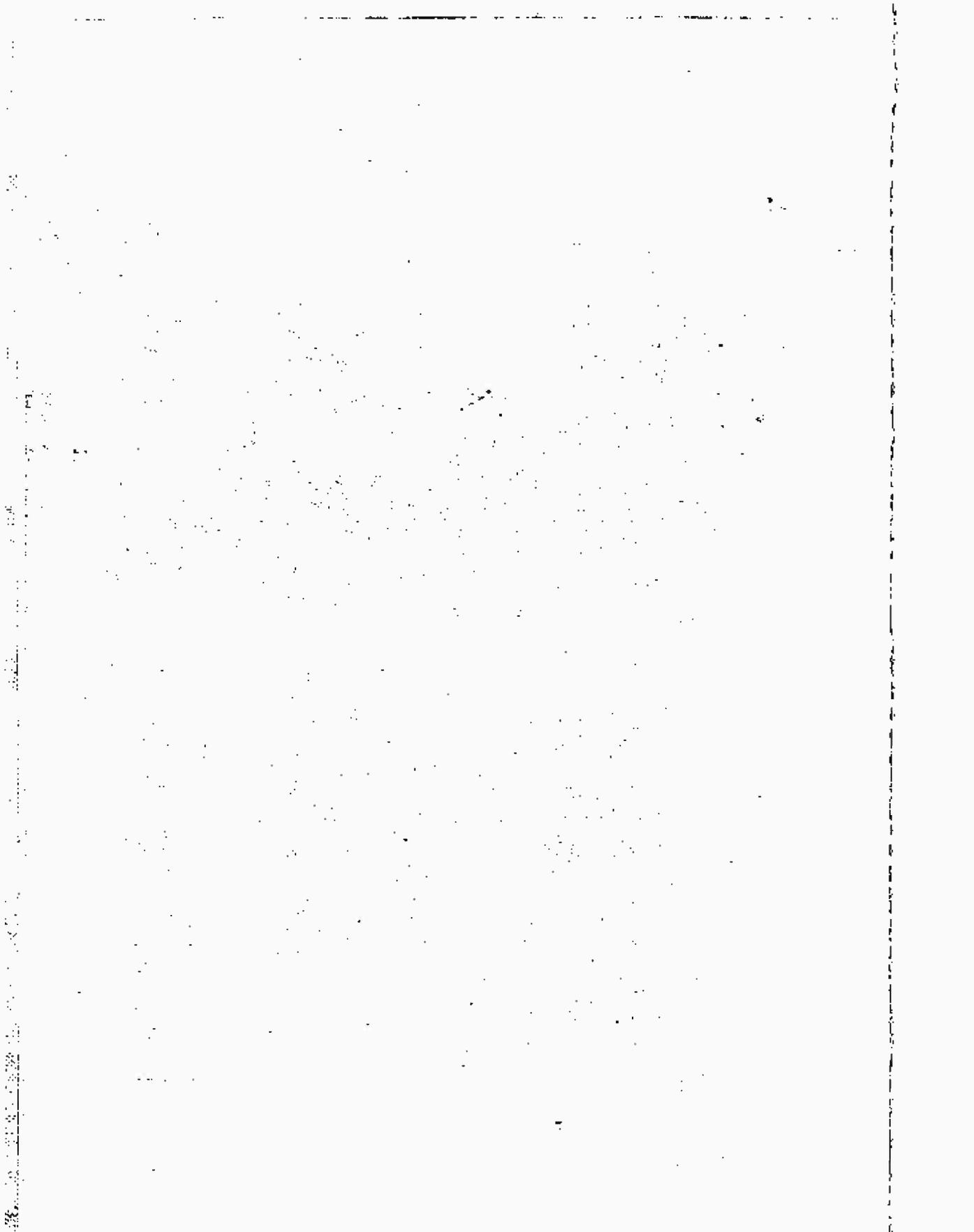
ظهور العبقرية

ليست العبقرية مقصورة على قوم او جيل او امرة او جنس ففي جميع الاقوام
والاجيال والامم والاجناس عبقيرون تركوا في بيئاتهم المتباينة آثاراً خالدة
وقد يكون زعيم قبيلة بربرية عبقرية لحرصه على كيان دولته . وقد يأتي في جيل
عبقري فرد او عدة من نوعه ولا يخرج للعالم بعد ذلك من يطاولهم امثال سقراط
واقلاطون فان ارسطو لا يزال مرفوقاً بانه صاحب العقل الاول زعموا انهم هدموا

فلسفته ولكن فلاسفتهم يستقون من نبعه. وادعوا ان فلسفة اليونان غدت مهمة
وهم يشرفون بالانتساب اليها. وهذا يرجع الى ثلاثة عقول من الطراز الاعلى سمحت
بصفات الهية واحاطت بكل شيء والتت على العالم الانساني اشعة من نورها الخالد
ولن تزال تلك الاسماء تتلونها أنس الامم وتنقل الى جميع اللغات مادام العقل
البشري قادراً على الفهم والادراك

كذلك ليست العبقرية مقصورة على الرجال دون النساء ولكن ربات الخدود
العبقريات نادرات وقد تمتاز احداهن قفقوق الرجال. كانت الخنساء عبقرية بشرها
ووقائها لآخيا. وكانت نيتوكريس احدى ملكات مصر عبقرية في سياسة الدول
واخبارها مشهورة. وكانت جان دارك الفرنسية عبقرية في حب وطنها وقيادة
الجند فانتدت بلادها وهي قبل رسالتها راعية. ومن معاصراتنا تمد عبقرية مدام
كوري مكتشفة جوهر الراديوم وهي ذات النعيب الاوفر في اكتشافه وهي
اليوم استاذ الكيمياء بمخبرة السوربون بباريس

وجدير بنا ان نعترف بذنوبنا نحو المرأة فقد اهلنا تهديها وجعلنا منها كائنات
يعيش مناوبنا ولنا وقضينا الاجيال الطوال في اقتناعها بانها اقل منا حراً وطولاً
واقصر باعاً واكثر من اكلنا قعوداً عن جلائل الاعمال نغبت نارها وانطفأت
شعلتها واسبحت عبقرية المرأة من حنات الصدفة. على ان التاريخ كما ذكرت
يحفظ ذكر كثيرات من فضليات السيدات اللواتي سدن بفضلهن ومواعهن. واذا
نظرنا اليوم في شعوب اوربا وامريكا حيث بلغ تعليم المرأة شأواً عظيماً رأينا نساء
كالسيدة بانكهرست زعيمة حرائر الانجليزات المطالبات بحقوق النساء وقد نلنها
فان ما تقيته هذه المرأة الفاضلة من الشدائد وما تحمته من المتاعب في سبيل خدمة
مبديها واقتدارها هل لم تمت بنات جنسها والمتابرة على الجهاد كلها صفات جذيرة
بالاعتراف لها بالعبقرية. والسيدة بلادنسكي الروسية التي قضت نصف ايامها في
امريكا حيث التفت كتاباً جليلاً حوى معلومات البشر وقضت النصف الآخر بين
قراء الهند. والسيدة ادي وهي صاحبة الطريقة الجديدة المعروفة باسم « العلم
المسيحي » يتبعها نحو مليون من اهل الولايات المتحدة





فاندي ورس في جنوب افريقيا

مقتطف مارس ١٩٢٢

المام الصفحة ٢٤٩



فاندي الريم الهندى وقت أمام دروسه